

## رواية شواطئ الدم شواطئ الملح لإبراهيم حسن ناصر (دراسة تحليلية)

نوفل حمد خضر  
مدرس  
جامعة كركوك / كلية التربية

اياذ جوهر عبد الله  
مدرس  
جامعة كركوك / كلية التربية

### الملخص

يقوم البحث على دراسة رواية من روايات الحرب في الأدب العراقي المعاصر وهي رواية "شواطئ الدم شواطئ الملح" لإبراهيم حسن ناصر وقد تضمنت الدراسة تحليلاً ونقداً للرواية حيث بدأ البحث بالمدخل للتمهيد عن الموضوع .

والبحث يتألف من ثلاثة مباحث أما الأول فيتضمن "السرد" وأنماط السرد من موضوعي وذاتي ومفارقات السرد ( الإيجاز - الوقف - المشهد - الخلاصة ) وكذلك وسيلتي السرد من حوار ووصف .. والثاني يدرس الشخصيات من بطل وشخصيات ثانوية ورئيسه وكيفية رسم الشخصيات بالطريقة التحليلية والتمثيلية .

ففي الطريقة التحليلية : يقوم الكاتب بإعطاء المعلومات عن الشخصية المراد وصفها أما في التمثيلية : فنقوم الشخصية بالتعبير عما في داخلها ، أي انها تقوم بالدور بنفسها . ويأتي بعد ذلك المبحث الثالث الذي يتضمن المكان وهو الذي تدور فيه الأحداث . وكذلك وظائف المكان وأنواعه وأهمية المكان وقد كانت وظائفه زخرفية وتفسيرية وانقسم المكان على مألوف ومعاد ، وهكذا ، تم التنقل بين هذه العناصر لغرض معرفتها ودراستها بنحو واضح .

### مدخل

مع اشتعال نيران الحرب العراقية الإيرانية ، عام ١٩٨٠م برزت ظواهر أدبية مهمة في الأدب العراقي المعاصر ولا سيما الرواية الحربية ، وتزامنا مع أحداث الحرب ظهرت هذه الحركة الأدبية الواسعة التي اتخذت من أحداث الحرب مسرحا لها لنقل وقائعها الى طيات الكتب ، ولتأخذ أشكالاً متعددة في تصوير مواقف تمثل عنفوان الحرب . فالأدب العراقي الحديث تطور تطوراً سريعاً منذ بدء الحرب والسبب في ذلك يعود الى أن الكثير من الأدباء الشباب كان لديهم مواهب أدبية لا بأس بها ولكن هذه المواهب لم تجد ما يصقلها . وجاءت الحرب لتكون الشرارة الأولى لانطلاق مواهبهم فقد وجدوا ضالتهن التي من خلالها استطاعوا أن يطلقوا العنان للقلم ليجري بحذر بين أحداث متلازمة وقعت في تلك الملاجئ المظلمة ليخرجها لتري ضوء الشمس . إذ انهم وجدوا أنفسهم مع الحرب وجها لوجه ... فتارت لديهم قوة التعبير وفن الكتابة .

### رواية الحرب في العراق

ارتبط الأدب ارتباطاً وثيقاً بالحرب ، فقد ظهرت الكثير من الروايات العالمية الحربية وقد أجاد فيها كتابها من ناحية الاستفادة في توظيف الثقافة الحربية وتكثيف الحدث على المستوى الواقعي وتجسيده بصورة وصفية ، والمزاوجة بين الواقع والافتراض . ومن البديهي أن يظهر هذا النوع من الروايات في كل بقعة من بقع العالم ولا سيما الدول التي تعرضت لشبح الحرب ، فالمطاحن الحربية التي دارت بين شعوب الأرض ولدت مشاعرا مشحونة بالخوف والرغبة وسارع الكثير من الأدباء الى تصوير هذه المواقف والمشاعر بأجمل الأساليب الأدبية ونقل الحرب الى

القارئ وهو في المدينة لتنتقل الواقع المرير لحرب تدور أحداثها في العراق دون أن يحس بها الكثير من الناس .

فرواية الحرب في العراق تأخذ مكانها الأدبي لتعلن عن مدى تأثير الحرب نفسياً وأدبياً في نفوس الكثير من الناس ولا سيما الذين يهتمون بهذا الجانب الحيوي الذي يعتبر تراثاً أدبياً خالداً لأنه يجسد مرحلة مهمة وتاريخية في حياة الأمم ، فقد كُتِبَ الكثير من الروايات التي تتضمن الحرب في أشد ضراوتها وتجسد الواقع كأشد ما يكون الواقع في ساحة المعركة فتوغل الكتاب والأدباء العراقيون في أعماق الحرب وصوروها بنحو فني جميل أما عن طريق التجربة المباشرة أو عن طريق سماع أخبار الحرب وما يحدث فيها من مواقف حاسمة "ومنذ بدء الحرب العراقية – الإيرانية في عام ١٩٨٠م ، رافقت هذه الحرب حركة أدبية واسعة أخذت من حدث الحرب موضوعاً لها ، وشملت جميع الأجناس الأدبية المعروفة ، مثل الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرحية ، واصطلح على هذه الظاهرة الشاملة "أدب الحرب" ، واحتلت الرواية بين هذه الأجناس الأدبية مكانة متميزة ، فأثارت اهتمام معظم كتاب الرواية .

والقصة القصيرة في العراق ، أكتسبت سمة الظاهرة الأدبية المؤثرة في الحياة الثقافية ، واصطلح عليها "رواية الحرب" (١) وأخذ الكتاب يسلكون طريقهم الأدبي بنحو يختلف عن السابق فهم الآن مع الحرب وجهاً لوجه ، إذ لم تكن لهم تجربة كهذه بل كانت هناك تجارب ضئيلة بالنسبة لوقتهم هذا . فقد هزت الحرب مشاعرهم وملكاتهم الأدبية بنحو ملحوظ . كما رأينا في نتاجهم الأدبي من قصص قصيرة وروايات أتسمت بالتطور الأسلوبى الواقعي مما جعلها تأخذ مكانها الأدبي بنحو متميز والذي يبحث عن روايات الحرب في الأدب العراقي المعاصر يلحظ مدى التطور الفني الذي صحب هذه الروايات مع مرور الزمن

وهكذا يمكن أن نفهم الحرب على إنها تؤثر في جميع الناس ولكن تبقى درجة التأثير حسب حساسية الشخص ومشاعره فمنهم من يراها عبارة عن حالة فوضى ودمار بين الشعوب ولا نفع منها لأنها لا تولد سوى الخراب والدمار فيمكن لها أن تحدث اليوم وتخدم غداً وتثور بعد عدة سنين فالحرب هي الحرب في كل زمان ومكان ولذا فهو يرى في آخر المطاف أن السلام هو أعظم من الحرب وله الحق في الكتابة والخلود بدلاً من الحرب . فإذا كانت الحرب شر بقاء الشعوب فأن السلام أعظم منها ومهما تكن الحرب شرسة فأن السلام يبقى منار الإنسانية السامية والى الأبد . ولكن هل هناك سلام حقيقي ودائم ؟ لا يوجد هذا الشيء لأن هناك الدوافع التي تساعد على نشوب الحروب وتوقدها (فإذا أردت السلام فتأهب للحرب) (٢) .

وهناك من يرى الحرب على أنها حالة اعتيادية تحدث بين الشعوب لغاية ما ويمكن الاستفادة منها كتراث أدبي حربي . نلاحظ مدى تأثير الكاتب أو الأديب بالواقع الذي يعيشه فمتى ما يكون الواقع يرتبط بالكاتب بنحو مباشر أظهر قدراته بنحو واضح فلكل كاتب وضعه الخاص به فمنهم من شارك في الحرب وكتب وهو يخوض غمار الحرب وجاءت كتابته صادقة المشاعر والأحاسيس نابعة من واقع حقيقي معاش .

اتصفت روايات الحرب في العراق بـ :

"أن رواية الحرب اعتمدت في بناء أحداثها على مجموعة من الأبنية . وكذلك إن رواية الحرب كشفت عن شخصية جديدة . لم يعرف في الرواية العربية إلا بنحو محدود . وكذلك كشفت عن مكان خاص لم يعرف في الرواية العربية . اعتمدت رواية الحرب في بناء عناصرها الفنية على أساليب سرديه معروفة وتميز البناء الفني في رواية الحرب ، بأنه غير متماسك ، يشوبه الضعف بسبب تنافر عناصر البناء ، ويعود ذلك الى إخفاق أساليب السرد ووسائله في إيجاد أقصى حالة تداخل وتفاعل بين العناصر الفنية المكونة لرواية الحرب ، لقد تضافت هذه المظاهر الفنية لتسم رواية الحرب بسمة خاصة ، امكن تحديدها اثر تحليل عناصر بنائها واعادة تركيبها لتشير الى محدودية الانجاز الفني لها ، وذلك بسبب انصرافها شبه التام الى قضايا افرزتها الحرب ، ولهذا

فهي فنيا تجاري الرواية العراقية في انجازها الفني المحدود ، وتكاد تكون اضافتها المتميزة تنحصر في تقديم شخصية واعية كرسست نفسها للدفاع عن مجموعة من القيم والمثل الاجتماعية ولهذا فان افاق رواية الحرب مرتبطة بهذا الواقع ، فهي اولا ، ارست فهما خاطئا لمفهوم الجنس الادبي ، عندما خلطت في كثير من نماذجها بين الرواية والقصة القصيرة ، على الرغم من الاختلاف الواضح بين هذين الجنسين الادبيين ، اذ عمد كثير من كتاب رواية الحرب الى حشو قصصهم القصيرة بالوقائع غير الدالة معتقدين انهم بذلك يكتبون نصوصا روائية ، واضعين في حساباتهم ان الفرق بين القصة القصيرة والرواية هو عدد الصفحات في حين ان الفرق كما هو معروف ، يعود الى طبيعة الحدث والشخصيات والى التوظيف الخاص للزمان والمكان وأساليب السرد ووسائله ولا شك ان هذا الفهم الخاطئ لمفهوم الرواية سيؤثر مستقبلا بصورة سلبية في الرواية العراقية (٢) .

### المبحث الأول : السرد .

السرد لغة "تداخل الخلق بعضها في بعض (٣)" . أي تشابكها على نحو لا سبيل الى فكه ، وهو اصطلاحاً "الفعل الذي ينطوي فيه السمة الشاملة لعملية القص (٤)" . أو هو : "كل ما يتعلق بالقص (٥)" .

### أ/ طبيعة السرد :

هناك نمطان من السرد يعتمد عليهما الكاتب .

**فالنمط الأول السرد الموضوعي :** وفيه "يكون الكاتب مطلعاً على كل شي ، حتى الأفكار السرية للأبطال (٦)" .

لذا يكون الكاتب في موقف الواصف فهو حر في التنقل بين أحداث الرواية وله الحق في وصف الشخصية أو أي جزء من الرواية "ويخبرنا قصة من دون أن يشير الى أي تدخل شخصي في القصة ، ومن دون أن يكون له علاقة بها (٧)" . فالراوي يتولى الفعاليات جميعها داخل المتن الحكائي ولا يتقيد بأي عنصر من العناصر القصصية (٨) . فعند ما يواجه موقفاً يبدأ بإعطاء المعلومات الكاملة للقارئ ويحاول صياغة الأفكار بنحو يجعل القارئ يحس بأن الكاتب يقدم له معلومات مهمة لتمهيد الطريق أمامه ولكن هذه المعلومات التي يعطيها الكاتب لا تكون نهائية بل يترك للقارئ حرية التحليل والتأويل . والأمثلة على هذا النوع كثيرة فمثلا في رواية (شواطئ الدم) "طه كثير النوم لا يابه بالقصف ، حتى وسط النار يمكن أن ينام . له هدوء عجيب واطمئنان عال .. حين يأخذه النعاس ينام مهما كانت الظروف وكان الموقف ، لكنه يستيقظ سريعا عندما ، يرن جرس التلفون ويتحدث كأنه لم ينام إطلاقاً ، شديد الوله بالخمير والنساء ، يحبهما بجنون ، لا يتوانى عن الحديث عن محاسنهن مهما كان الوقت ومهما كانت المواقف حكمته التي يرددها دائماً : اسقني الخمر ومتعني مساءً واذبحني غداً (٩)" .

لقد تعرفنا على شخصية (طه) عن طريق المعلومات التي أدلى بها الكاتب ليكشف عن سمات شخصية ولقد عرفناه كثير النوم يحب الخمر والنساء ولهذا نقول : بأن الكاتب قد بين جانب من جوانب شخصية (طه) وهذا الجانب يتعلق بحياته الخاصة . وكذلك دخل الكاتب داخل شخصية (طه) ليصف ما يفكر به هذا الشخص .

### أما النمط الثاني فهو السرد الذاتي :

فنحن لا نستطيع أن نجزم بأن هناك رواية بأسلوب موضوعي أو هناك رواية بأسلوب ذاتي ، أي أنها منفردة بأحد الأسلوبين ، ولكن تتفاوت نسبة الأسلوبين في الرواية ، فمنها ما يطغى عليه الأسلوب الموضوعي مع نسبة ضئيلة من السرد الذاتي وبالعكس . ففي رواية "شواطئ الدم" وجدنا أن السرد الموضوعي هو أكثر ما اتبعه الكاتب ، ووجدنا السرد الذاتي بنطاق ضيق ، وفي السرد الذاتي "فإننا نتتبع الحكمي من خلال عيني الراوي (أو طرف مستمع) متوفرين على تفسير لكل خبر . متى وكيف عرفه الراوي أو المستمع نفسه (١٠) " . وعادة يكون مرتبطاً بالذات الإنسانية "ويقوم

جوهرها على الغياب الطوعي للمؤلف المحيط بكل شي عن روايته وعلى وجود (وجهة نظر) مقيدة عوضاً عن ذلك (١١) " فالمثال الاتي نموذج من هذا النوع من السرد .  
 "اضطجعت على سريري ، متعب .. غريب على المكان .. الحرب غاية ام وسيلة ؟ إن الحرب غاية للجنون ووسيلة للموت . لاشي غير هذا ..... أن الحرب لعبة النار التي لم تنطفئ أبداً بل تطورت وسائل اتقادها واستحال إخمادها (١٢) "  
 أذن عن طريق ضمير المتكلم تعرفنا على طبيعة الحرب وقدم لنا معلومات كاملة وفلسفة تتمحور حول ماهية الحرب وجعلنا نفتح الى منافذ متعددة لتصور الحرب ومعاناتها .  
 أما مفارقات السرد فمنها (الخلاصة) : ويعني اختصار الوقت أو الحدث ، أي أن تكون مساحة الزمن اكبر من النص ، وتمتد الى عدة سنين . فمثلاً نجد نصاً تكون فيه انتقاله ضمن زمن طويل ، ولكن هذا الزمن محذوف ضمن مساحة النص ، وقد درس هذا المصطلح الكثير من الباحثين وأطلقوا عليه تسميات مختلفة . فنجد "المجمل(١٣) " و "الملخص(١٤) " و "الخلاصة(١٥) " ، "وتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزلها في صفحات أو اسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل(١٦) " .

وهذا نجده في رواية "شواطئ الدم"

- اليوم جاءتنا حلوى هدية .
- جميل .. أننا بحاجة الى طاقة ، الى لذة .
- أنها هدية اتحاد النساء .
- يا نساء .. ليس للنساء مكاناً هنا .

- من اتحادات المحافظات ، حلويات ، خبز ، فاكهه ، تمر ، طرشي وأشياء أخرى نصيبنا

كان الحلوى .

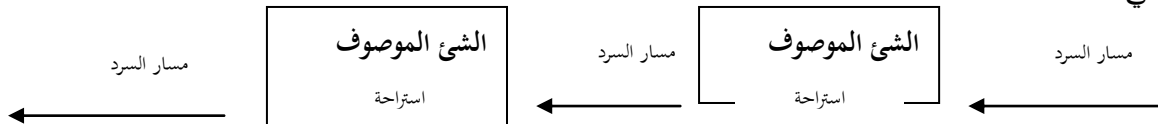
- أعطني إياها لأرى .

- خذها ...

- أخذت الصندوق الكارتوني المبيع بالسمن . قرأت من خلال يقع السمن "هدية اتحاد نساء نينوى .. مع تمنياتنا بالنصر ... التوقيع : رئيسة الاتحاد" ... ؟ ! . ماذا .. اتحاد نساء نينوى . إيمان .. ما هذا ؟ هذه آخر الوسائل التي تذكرني بك (١٧) " .

نجد هذا الموقف الذي مر به الملازم مراد في الملجأ ذا طابع زمني طويل ، حيث إن إيمان قد انتقلت من القرية منذ سنين ، فلم تصل أي أخبار عنها ، وبهذه اللحظة وعن طريق الحلوى يتذكر ملازم مراد تلك الشخصية التي يفصل بينه وبينها سنين طويلة ، ولكن هذه الفترة الزمنية لم تذكر ، وقد حذفت من النص ولكن لا نستطيع تحديدها ، فمنذ انتقالها وهي معلمة تدرجت الى رئيسة اتحاد . فكم من الزمن استغرقت حتى وصلت الى هذا الحد من السلم الوظيفي ؟

ومن المفارقات الأخرى (الوقف) وهو عملية وصف يقوم بها الكاتب ، حيث يتوقف لديه الزمن فيقتصر على وصف ذلك المشهد ، ومن المؤكد في هذه الحالة "إن الوصف يقدم زمناً ميثاً داخل نطاق السرد ، أي انه يشكل توقفاً في مسيرة تنامي وتدفق الأحداث (١٨) " كما في الشكل الآتي :



"دق بوق الحرب في فناء الأرض التي افترشها جنود الفوج الثالث .. والصدى والصوت توأمان في أفق الملح .. يتجمعان عندما يخرجان في المدى .. من جوف البوق الذي ينفخ به بتكاسل العريف حميد .. يتعود العسكر على تمييز صوت البوق : على نغماته ، هناك اللحان تخص الطعام

وأخرى للإنذار والطوارئ ، وتلك أنغام الحرب والقتال – العريف حميد يتوسط الساحة المتربة ويبعث اللحان الرحيل الى القتال : الشمس ترسل أشعتها ؛ الى بشرته السمراء وبيده اليمنى يمسك بالبوبق النحاسي الأصفر – ويده اليسرى تنقل في جيبه(١٩) " .

مع اندلاع صوت البوق يبدأ الجنود بالتنظيم لهجوم جديد هكذا هي حياتهم مرتبطة بهذا البوق النحاسي الأصفر . وجدنا هذه الأوصاف في الفقرة السابقة ، حيث وصف كيف يدق حميد البوق تأهباً لهجوم جديد حيث لم يقترن هذا الوصف بزمن .

أما (المشهد) : فهو حركة تكاد تكون تمثيلية بين أشخاص عن طريق الحوار المتبادل في الرواية ، والمشهد له وظيفة الكشف عن طريق المحاوراة بين الشخصيات ، وله "دور حاسم في تطوير هذه الأحداث وفي الكشف عن الطبائع النفسية والاجتماعية للشخصيات (٢٠) " . وأن تطور هذه الأحداث "وأبرزها له صنعة تأسيسه لمسار القصة (٢١) " . وكذلك يعطي "المشهد للقارئ إحساساً بالمشاركة الجادة في الفعل ؛ - انه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط في نفس لحظة وقوعه ، لا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي يستغرقها صوت الراوي في قوله" (٢٢).

- سوف نموت .. سوف نموت .

- نريد ماء .. نريد ماء .

- لا شي غير القنابل والسموم العالية . أطلق الكلمات والنداءات في الجهاز اللاسلكي :

- إيتوني بماء الفرات ، بماء السماء بدمع الغيوم نفتش عن بقايا القناني في التراب، بين الملاجئ المهدمة ، عن الزمزيات في أحزمة الشهداء والقتلى نرفعها الى الأعلى، نضغطها لتسقط النقطة العالقة في جوفها الخالي أنام عطشى هلع في النفوس سقوط الروح (٢٣) " .

يتضمن المشهد هنا تأخر الماء عن عدد من المقاتلين أثناء المعركة وكيف كان حالهم وهم يتصارعون مع الضما ولم يبق بينهم وبين حياتهم سوى زمزية ماء لإنقاذ روحهم من الهلاك .

## ب/ وسيلتنا السرد

### ١ . الحوار :

من أساليب السرد ما يسمى بـ (الحوار) ، الذي يستخدمه الكاتب في سرد أحداث تجري بين شخصين أو أكثر ، وبهذه الطريقة تظهر الشخصية في الرواية على عدة طرائق ، وكذلك تكشف عن نوع الشخصية وصفاتها ، حيث يقوم الكلام على أساس التبادل المباشر للكلام عن قضية أو وجهة نظر خاصة ، والحوار له وظائف كثيرة فهو "يكشف عن أبعاد الشخصية أو الشخصيات – ويوضح سلوكها ويساهم في إيجاد العلاقة الديناميكية بين تصرفات الشخصيات المختلفة ودفع الحدث القصصي الى المرحلة التالية من التطور (٢٤) " . ولا بد أن يكون مستوى الحوار متطابقاً مع مستوى الشخصية الاجتماعي والنفسي ، كما انه "يتيح تقديم معرفة مباشرة عن الشخصية (٢٥) " .

ويشكل الحوار لدى (ابراهيم حسن ناصر) محركاً أساسياً في دفع الأحداث الى الأمام ، وفي الكشف عن المواقف النفسية والاجتماعية ، وهذا ما نلاحظه في المقطع الذي اخترناه من رواية شواطئ الدم "أبي . أبي لقد أسقطنا مائة طائرة يهودية وتتقدم الآن جيوش العرب لاحتلال إسرائيل وتحريير فلسطين . لم ينتبه أبي لي واستمر يداور الماء في الحقل ثم نظر إلي بلا مبالاة وداوم بعمله .. ساعتها شعرت وكان نصفني داخل الأرض واني بارد كالثلج ... أردت أن ابكي ولكني لم استطع ، كان وجهي احمر محتقناً . غرس أبي مسحاته في الأرض واحتضنني وقال :

- لقد سمعت هذا الكلام كثيراً .

- العرب جميعهم هذه المرة يا أبي .

- وهذه هي المصيبة .... يا بني أنهم يقاتلون بالمذيع فقط (٢٦) " .

## ٢ . الوصف :

تم ذكر السرد وعلاقته بالحوار ، وفي هذا الموضوع نتطرق الى السرد عن طريق الوصف وهذا مهم لوجود هذه الصور بكثرة في رواية "شواطئ الدم" فقد استخدمه الكاتب وأجاد فيه . والوصف هنا يرتبط بالزمان والمكان ولا سيما ما يتعلق بالشخصية ، فقد وجدنا صور جميلة موحية تعطي لنا أبعاد الشخصية النفسية والخارجية . فيقوم الكاتب بالكشف عن أغوار الشخصية التي وظفها في كتابته فيصفها بأسلوب أدبي وبنحو واضح أمام ذهن وعين القارئ . وان للوصف باعتباره وسيلة سرد ، وظيفة وهي انه "يخدم بناء الشخصية وله أثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث (٢٧)".

فقد اكتسبت الملامح الخارجية للشخصية أهمية كبيرة لدى كتاب الرواية التقليدية . فكلما كانت معرفتنا بالشكل الخارجي للشخصية مفصلة ازداد علمنا بها "لأنك إذا لم تعرف الشخصيات جيداً بحيث تستطيع أن تشاركها مشاركة وجدانية فلن تعبأ بما يحدث لها (٢٨)". وهذا ما نجده واضحاً جلياً عند هذا الكاتب "أدخل ملجأ المقاتل مناحي قنيان اسم بدوي يوحي بالبيئة التي هو فيها ملامح صلبة ، وجه صقر جائع ، رجل شوكي من صحراء العراق الغربية ، تلك الصحراء التي أقرنت بالذئاب المفترسة والبدو الأشداء . الحرب بدأت من الصحراء وحسنت في الصحراء (٢٩)".

يصف الكاتب احد المقاتلين وصفا يوحي بلوحة صحراوية تدل على قدرة الكاتب في تبين أوصاف الشخصية . فقد وفق في إظهار الملامح الخارجية لهذا البدوي الذي ربطه ببيئته الصحراوية فقد وصفه بالصلابة ، وهذه صفة تغلب على أهل البادية . وشبهه بالصقر الجائع الذي يقع بشباك الجوع ، ولم يات تشبيهه عن طريق المصادفة بل هناك دوافع وأسباب لذلك . فالصقر عندما يكون جائعاً يتصف بالشراسة . ملامحه حادة .. حيث يقول .. (رولان بارت) "أن الكاتب عندما يبدأ في عملية الوصف لا بد أن يضع اثرا حول المشهد الذي يريد أن يصفه (٣٠)".

فالوصف مهم جداً في عملية الكتابة فلا بد من وصف الأشياء قبل الدخول في تفاصيلها . كالبناء فعندما نريد بناء بيت أو عمارة لا بد من تدقيق المكان وإعداد الخرائط وقياس نسب المواد المستخدمة في البناء ، كذلك الشخصية في العمل الروائي لا بد من دراسة جوانبها ووصف شكلها الخارجي وبيان ملامحها الجسدية حتى تكون للقاري فكرة عن هذه الشخصية "والسرد هو نقل الحادثة من صورتها الواقعية الى صورة لغوية (٣١)".

أذن نقول : بأن مهمة الراوي كالرسم يستطيع اختيار ووصف اللوحات المتقنة لأن الكاتب الروائي يأخذ الواقع ليترجمه الى صورة لغوية مؤثرة في نفس القاريء فهناك علاقة وثيقة بين الأديب والرسم لأن كل منهما له وسيلته الخاصة .

وهناك لوحات لغوية جميلة في الرواية فمثلاً هذا المشهد :

"مقدم هذال اسم يوحي بالصرافة والحزم رجل ابيض البشرة أشقر الشوارب تبدو عليه بعض علائم التعب (٣٢)".

لو تأملنا في هذه الأسطر لوجدنا فيها وصفا يدل على ذوق الكاتب وإبداعه في رسم هذه اللوحات اللغوية الجميلة . وكذلك هذا الوصف الذي يبعث في النفس العطف والشفقة "يتكور الجنود وهم جرحى مثل ققط هزيلة ترضع صغارها (٣٣)". انه وصف لحال الجنود وهم يتكورون على بعضهم في ساحة المعركة ، لحظات حاسمة إما الحياة أو الموت . هنا يكافح الإنسان من اجل الحفاظ على حياته ؛ لان الحرب لا ترحم . فعندما تثور لا تتوقف حتى تأخذ الكثير من الرجال .

هكذا هي مطاحن الحروب لا تستمر الا على أجساد الرجال ورائحة البارود " إن فكرة الفن هي فكرة الحياة نفسها (٣٤) ". لذا فالوصف خير وسيلة للربط وتقريب الحالة الحياتية للشخصية واذ "كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكى ، فان الوصف هو أداة تشكل صورة المكان (٣٥)".

**المبحث الثاني : الشخصيات**

البطل في الرواية هو الذي يقوم بالأحداث فهو يقوم بكل شي وتتمحور حوله الأحداث . ولو بحثنا عن بطلنا في رواية "شواطئ الدم شواطئ الملح" لوجدناه حسب تقديم أمر السرية قائلاً : "انه الملازم مراد - مجند - كان قبل أن يأتي الى هنا في معسكر تدريب "فايدة" سيتولى مهماته من اليوم ، فسهلوا مهمته (٣٦) " .

من الفقرة المختارة نلاحظ أن بطل الرواية حسب اسمه الصريح "مراد" ، فمراد يبدأ برواية الأحداث بضمير المتكلم "دخلت موضع قاذفة" وقلت في نفسي " جلست في ملجأ الراحة المخصص لي" ، اذن يتولى هذا البطل مهمة سرد الأحداث على لسانه . يبدو البطل في رواية "شواطئ الدم" ذا أبعاد متعددة ، فهو ذو اتجاه عسكري بحث بعمله كضابط ، وهذا يدفعه الى أن تكون أفكاره عسكرية حسب موقعه في القيادة ، فهو الذي يقاتل رغم كرهه للحرب لأنه لا يؤمن بالحرب كوسيلة للتفاهم ، وهذا نكتشفه من فلسفته في الكلام عن الحرب ، ففي كثير من أجزاء الرواية يلعن الحرب ، لأنها لا تبقي ولا تذر ، لأنها سبيل لهلاك البشرية فنجد غاضباً على الحرب حيث يقول "الحرب تبدأ من عقول القادة وتنتهي بأجساد المقاتلين وقلوب الأمهات ودموع الأراامل"

وهذا لا يعني أن شخصية البطل في الرواية لم يكن فيها جانب مدني أو أفكار تتعلق بحياته المدنية ، بل كانت هناك أفكار تتعلق بحياته المدنية فهو يذكر الكثير من المواقف التي أثرت فيه من ذكريات وعن طريق التذكر يعيش أجمل اللحظات مع من فارقهم منذ أيام أو سنين ، فمثلاً نجد أفكاراً تتعلق بحياة أخوته وأبيه الشيخ الكبير فهو يرجع بتفكيره الى القرية وأيامها التي عاشها مع الأهل وما حدث له من مواقف لا زالت عالقة بالذاكرة التي اتعبتها الحرب ، فنجده يدخل الملجأ ويجلس أمام الفانوس الأزرق وعليه علامة الخفاش والذي جره بعيداً ... الى أخوته عبد واسماعيل وأبيه الشيخ المسن ، ويعطي لكل شخص منهم صفة خاصة به "كنا صغاراً أنا وأخوتي الثلاثة نتجمع حوله مثل حشرات ، نقلب أوراق كتبنا المدرسية ... ونبلل أوراق الرسم بزيتة لنطبع صور القراءة الجميلة (٣٧)" . نلاحظ هنا أن الكاتب استعان بواقعه الريفية واستطاع نقل صورة جميلة عن حياته الخاصة .

وهنا يثار سؤال "من أين يأتي الكاتب بشخصياته ؟

والجواب قد يلتقطها من ملاحظاته المباشرة في الحياة المحيطة به (٣٨)" .

فلكل كاتب طريقه في عرض أفكاره فمنهم من يظهرها بنحو مباشر ، ومنهم عن طريق التلاحق بالمشاهد والحوارات ، وهنا يكشف الكاتب عن أفكاره فيوظفها على لسان إحدى شخصياته بنحو غير مباشر ، وهذه الطريقة يعتمد عليها الكثير من الكتاب ، لأنها تتيح له التوسع في أفكاره بنحو اكبر ، وتعطي حرية اكبر لإبداء رأيه في اي مسألة مهمة كانت ام غير مهمة وهذا يجعل من الشخصية أداة مهمة في العمل الأدبي "ولذلك فإن الشخصيات التي يقدمها الكاتب تصبح نماذج متشابهة ، تستمد ملامحها وصفاتها من المثل الأعلى للفضائل أو الرذيلة المتفق عليها في البيئة (٣٩)" .

ولو تفحصنا حياة الكاتب لوجدنا فيها ارتباطاً وثيقاً بينه وبين شخصية "مراد" لأنه وضع تلك الشخصية لتمثل دوره في الحياة والمعركة . فمن خلال هذه الشخصية التي اختارها استطاع الكاتب بث أفكاره وفلسفته بنحو واضح فقد استعرض مسيرة حياته الخاصة عن طريق الذكريات وكذلك نلاحظ أن الرواية برمتها عبارة عن أحداث ومواقف تتجمع فيما بينها لتجعل من نفسها رواية تصور الحرب بكل ما تعنيه الكلمة ، فمن حياته الجامعية الى حياة طفولته الى حياته العسكرية تتمحور أحداث الرواية وتصور كل جزء تصويراً أدبياً يحمل انطباعات تلك الفترة من الحياة التي عاشها الكاتب وبطل القصة .

أما بالنسبة لفلسفة الكاتب أو بطل الرواية فقد لاحظنا عنده عبارات فلسفية وتأملات تدل على انفتاح عقله وسرعة تفهمه لواقع الحرب وما تخفيه من أسرار حيث يقول :

"الساعة في يدي قالت الرابعة .. الزمن .. هل هو متناهة أريد أصل أوله اعرف بدايته ، اختصر آخره الثقيل ، ادفعه نحو حلمه ، فاذا على يدي عقارب داخل قرص حديدي وغطاء زجاجي تؤشر الى الرابعة ... رابعة ماذا ؟ هل في يدي الرابعة ؟ أم أنا الرابعة .. اهو الرابعة ؟ أم هذه الشمس العجيبة ؟ أم ذلك اليوم المترب الكالغ .. يا للضياع والتهيه ؟ ... من قسم الزمن ليتخلص من ثقله ؟ أبهذا التقسيم نلهو ونضحك على ذقوننا ونحسب العمر القصير (٤٠)" .

يتكلم عن الزمن وتقسيمه ويدخل في مداخل فلسفية وعبارات تأملية تدل على قوة فكره وتحليله للزمن ويتساءل عن أشياء تتعلق بالوجود ، لأنه في حرب وعادة الإنسان عندما يكون في أمر محير يلجأ الى التأمل والفلسفة ، فبطلنا يهرب بفكره الى الزمن ومن وضعه ويعاتب هذه الساعة التي استقرت على يده لتذكره دائماً بالوقت ، والوقت ثقيل جداً أثناء الحرب ولا سيما في وقت اشتداد المعركة .

ومن صفات البطل الأخرى انه شخصية ريفية يحمل أفكاراً تتعلق بقريته (اسديرة) ، فنجده يذكر الكثير من المواقف التي عاشها في قريته تلك وهو طفل حيث يقول :-

"كنت هائماً في حقول قريتي (اسديرة) .. القمح مدى أخضر يمتد حتى الأفق ... ومستعرات الأقحوان تتخلل البقع غير المزروعة بالقمح والشعير ... البيوت الطينية تغرق في بحر الخضرة ... والماشية مضطجة ... تجتر أكلها بتكاسل ... اسمع أنين الحشرات أو غنائها لا فرق ... ثمة غيوم بيضاء متفرقة ... أشم رائحة الرشاد والفطر ... أرى بضع فتيات يحملن سلال نبات الخباز الذي يكون وجبة الربيع اليومية (٤١)" .

نلاحظ تعلق البطل بحياته الماضية في القرية وهو يصف لنا تلك القرية وما تركته من ذكريات في ذهنه . فهو في جو مليء بالرصاص ورائحة البارود والجثث والدماء . يتذكر تلك القرية الوديعه التي عاش فيها ونثر أحلى أيامه وأيام طفولته فيها ، فلا يمكن أن ينسى تلك الأيام فينتقل البطل بالرجوع الى الماضي الى مرتع الصبا لينقل لنا ولو شيئاً بسيطاً عن قريته . ويقول لنا : أين هو الآن ؟ فهنا نجد شخصية البطل مع تطورها في الرواية بوصفها شخصية ضابط مجند وهو(ملازم مراد) ولم تتخل عن أفكاره الريفية ، وهذا يدل على وعي الكاتب بواقعه ، وأنه يقاتل من اجل مبدأ يحيا أو يموت من أجله . وهذا يأتي عن طريق المنولوج الداخلي الذي لعب "دوراً مهماً للربط بين الحاضر والماضي والمستقبل عن طريق الحكم وتداعي الذكريات (٤٢)" .

### الشخصيات وكيفية رسمها :

مما لاشك فيه أن الشخصية تعتبر من أهم عناصر العمل الروائي فلا وجود لاحداث بدون أشخاص ، ففي كل عمل أدبي هناك شخصيات ، أما أن تكون رئيسه أو أن تكون ثانوية . وقد اهتمت رواية الحرب بهذا الجانب الحيوي من العمل الأدبي فالكاتب رسم الشخصية رسماً شكلياً وفكرياً ووصف الشخصية الحربية بالخشونة والقوة لأنها شخصية قتال عنيف . وهناك أسباب لاهتمام الكتاب العراقيين برسم الملامح الخارجية للشخصية وهو "كون الشخصية في رواية الحرب ، شخصية فعل ، لا شخصية تأمل ، وقد فرض هذا الأمر التركيز على الملامح الخارجية للشخصية فشمل معظم تلك الملامح ، من الاسم الصريح ولامح الوجه والطول والحركة والهيكل الخارجي وغيره (٤٣)" .

أذن نقول : بأن رسم الشخصية يحتاج الى ثقافة عالية لاكتشافها في العمل الروائي فالأديب لا بد له من علم في رسم الشخصيات ، فهو يتعامل مع أشخاص غير عاديين لانهم ضمن العمل الأدبي ، فاذا بدأ بوصف الشخصية عليه أن يوفق بين ما هو موجود في ملامحها وبين العمل الذي ستقوم به . فاذا كانت شخصية معركة ضارية فيجب أن تكون عنيفة ذات ملامح صلبة توحى



بالموقف الذي تعيشه . وإذا كانت الشخصية في أحد الملاجئ تتربق موقفاً فلا بد أن تكون ملامحها مضطربة وجلة تنتظر شيئاً ما مع اصفرار البشرة وتأهب لأي شيء يأتي من الغيب . فلكل موقف شخصية و ملامح خاصة بها . وهكذا يكون التوازن بين الموقف والشخصية في العمل الروائي ، وبهذا يستطيع الكاتب تجسيد ملامحها بنحو يوحى بمعطيات المشهد الذي جهد الى رسمه ، إذ نلاحظ في رواية "شواطئ الدم شواطئ الملح" أن الكاتب يرسم عن طريق التعامل المباشر للشخصيات التي اختارها في روايته ، وهذا يأتي من موقعه في أحداث الرواية ، لأنه ضابط مجند ، وهو بطل الرواية لذا يقوم بوصف جميع الأحداث ورسم كل الشخصيات فكأنه لا يتعامل مع شخصية إلا وقد أعطى عنها صورة شكلية و ملامح فكرية قبل البدء في التعامل معها وهذا يعطي للقارئ صورة كاملة عن هذه الشخصية التي ستقوم بدورها في الرواية . "وقد يبدو في بعض القصص أن الشخصية تبرز وتسيطر على الحوادث بما لها من قوة وجاذبية ، ولكن عندما ... نتفحص القصة جيداً . نجد أن الكاتب لا يكتف بذلك بل يعتمد الى ... وسـائل فنية أخرى ، ليوفر لها هذه السيادة (٤٤)" .

هناك نوعان من الشخصيات منها ما تكون رئيسه وأخرى ثانويه ونقصد بالرئيسه أنها تتفاعل مع الحدث وعادة تكون شخصية تتطور وتنمو وتنضج وتدور الاحداث حولها ، ومن ضمنها بطل الرواية ، أما الثانوية فتبقى على حالة واحدة وتظهر بنحو سطحي في العمل الروائي وبالكاد تكون مؤثرة في الاحداث . وفي رواية "شواطئ الدم شواطئ الملح" نجد أن الكاتب أجاد في رسم الشخصيات ، وأعطى فكرة عنها بنحو واضح حتى جعلنا نتخيل هذا ... الشخص كأنه أمامنا فمثلاً في هذا المقطع يجعلنا نعيش مع مقاتل اسمه ماجد البصري انه مقاتل صغير وحسب المشهد الآتي "نظرت نحو ماجد البصري الذي انزوى في موضع الرمي وحقق في الأفق البعيد عمره تسعة عشر عاماً لا غير هو فتى أكثر منه شباباً فيه براءة طفل ... كنت أعامله في الفصيل على هذا الأساس .. كثيراً ما ابتسم بوجهه سلاحه قاذفة .. قلت لماذا نحمل دائماً أكثر من طاقتنا ؟ هو شبل اذا مثل الأشبال التي سمعت عن قتالهم في بيروت ضد العدو الصهيوني . ماجد البصري يتأمل البحيرة ... وطيور النورس المنتشرة .. أترأه في هذه اللحظة يتذكر أمه أم حبيبته .. ماجد البصري فيك يتجلى الخجل البصري (٤٥)" .

نلاحظ مما سبق المعلومات المتعلقة بشخصية (ماجد البصري) أن الكاتب قام بإعطاء ملامح خارجية شكلية و ملامح فكرية تكشف عن هذا الشخص الذي فيما بعد سوف يقع قتيلاً . والسؤال هنا هو ما الغاية من هذا الوصف للشخصية ؟ ولماذا بهذه الصورة المؤثرة المشوقة ؟ ونجد جواباً تفرضه طبيعة الرواية التي يدور محورها حول الحرب التي تصطدم مع براءة هذا الشاب ، لذا حاول الكاتب ان يثير ويشد انتباه القارئ بهذه الصورة الوصفية (ماجد البصري) فتى صغيراً يقاتل في حرب شرسة ، وكذلك دقق الوصف ورسم تلك الشخصية ، لأنه سوف يقتل في أحد المواقف في المعركة ، وهذا ما يدفع بالقارئ الى استرجاع المعلومات السابقة عن "ماجد البصري" فلو لم تكن هناك معلومات سابقة عنه لكان القارئ غير متأثراً بمقتله ولكن للقارئ معرفة سابقة به وهي التي قامت عن طريق تعريف الكاتب بتلك الشخصية ، فكان مدى التأثير اكبر على القارئ ، وهذه طريقة ناجحة في التعامل مع نمط الشخصية في الرواية .

والشخصيات تأتي في العمل الأدبي بصورتين ثابتة ونامية ، فالشخصية الثابتة لا تتغير ولا تتطور بل تبقى ثابتة من بداية الرواية الى نهايتها ، اما الشخصية النامية ، فهي التي تتغير وتتطور وتنضج عبر إحداه الرواية . وهناك عدة طرق لرسم الشخصيات فاهمها "الطريقة التحليلية" و "الطريقة التمثيلية" في الأولى يقوم الروائي نفسه بتحديد وإيضاح سمات الشخصية وأبعادها . فهو يبين بواعث نوازعها وتصرفاتها وطبيعتها عواطفها وأفكارها وكل ما يتعلق بها(٤٦)" اما الطريقة التمثيلية فتقوم الشخصية بالتعبير عما في داخلها ، أي انها تقوم بالدور بنفسها .

وتتوزع معالم العمل الأدبي بين تلك الطريقتين في عرض معلومات عن الشخصية في العمل الأدبي . فيأخذ الكاتب إحدى الطريقتين في إيصال المعلومات الى القارئ فإذا أخذ الطريقة التحليلية وجب عليه القيام بالوصف وإذا أخذ بالطريقة التمثيلية ترك أو أطلق العنان للشخصية نفسها في عرض أفكارها وكما يأتي :

**الطريقة التحليلية :** هي عبارة عن وصف يقوم به الكاتب أو الراوي تجاه الشخصية التي قام بوصفها "ولقد بدا تقديم الشخصيات من الخارج مفيداً في اغلب الاحيان في الادب الروائي لمسرحية النزاع بين الفرد والمجتمع وجعله أكثر تأثيراً (٤٧)". فإذن نقول : بأن هذه الطريقة تعتمد على الكاتب أو الراوي أو بطل الرواية نفسه بحيث يقف وقفة متأمل في تلك الشخصية ، فيبدأ بإعطاء المعلومات المترتبة على ملامحها أو أفكارها بحيث يغطيها من كل الجوانب ويجعل القارئ على بينة من الأمر . وهناك أمثلة كثيرة على هذه الطريقة في رواية "شواطئ الدم شواطئ الملح" لإبراهيم حسن ناصر فقد أكثر من هذه الطريقة ، بحيث نلاحظ معظم الشخصيات في روايته مصورة من قبله ، فلا يكاد يمر على شخصية من الشخصيات الا وأعطي عنها معلومات تكشف عن ملامحها الخارجية وأفكارها وطموحاتها وأفعالها القتالية ، وخير مثال على ذلك هذه الأوصاف التي قام بها البطل في رواية "شواطئ الدم شواطئ الملح" .

"ادخل ملجأ المقاتل مناحي قنيان اسم بدوي يوحي بالبيئة التي هو فيها ملامح صلبة ، وجه صقر جائع ، رجل شوكي من صحراء العراق الغربية ، تلك الصحراء التي أقرنت بالذئاب الشرسة والبدو الأشداء الحرب بدأت من الصحراء وحسنت في الصحراء . مناحي قنيان تعابير وجهه القادسية وشاربه الكث يوحيان بالكثير من التجارب (٤٨)" .

نجد مناحي قنيان بكامل مواصفاته ولكن من أين أتت هذه ... المعلومات ؟ هل أتت من الشخصية نفسها ؟ أم من بطل الرواية .. فالجواب يتبين من أسلوب هذه الفقرة ، فنجدها على لسان الكاتب وهو يتكلم عن شخصية أمامه في الملجأ ، فيصف لنا ملامحها الخارجية من وجه متصلب وشوارب كثة وجسد قوي . كل هذا ليقول لنا بأن مناحي قنيان مقاتل شرس ويجب أن تكون الشخصية القتالية هكذا قوية الجسد ، ودائماً يؤكد الوصف في الرواية الحربية على الملامح الجسدية والقوة أكثر من التأملات والأفكار لأنها شخصية حرب وعراء ورمال وخشونة .

**أما الطريقة التمثيلية :** فهي عبارة عن عرض لأفكار الشخصية ... عن طريق الشخصية نفسها . فمثلاً يقف الكاتب عند شخصية من شخصيات العمل الأدبي فيتركها ويطلق لها العنان في عرض ما يجول بداخلها .. من أفكار وخلجات وتأملات "ويسمح لأشخاصه ان تكشف عن نفسها بواسطة الكلام والحركة ويجعلهم يعبرون عن نفوسهم بما يضعه في افواه الاشخاص الاخرين من تعليقات عليهم واحكام (٤٩)". وهذه الطريقة لا تدل على ضعف الكاتب أو ضعف أسلوبه أو قلة معلوماته عن تلك الشخصية بل هي .. انتقالاً بين الطريقتين لكي يجد القارئ المتعة في القراءة ولا يدخل الملل في نفسه ، بحيث تدور الأفكار بين البطل والشخصيات الأخرى في .. الرواية وهذا يجعل من الرواية شيئاً ممتعاً وتغيراً في الأفكار والتأملات ونجد هذه الطريقة في رواية "شواطئ الدم" بنحو قليل ؛ لأن الكاتب أتبع الطريقة الأولى . ولكن نجده في هذا المقطع يترك للشخصية حرية التعبير عن ... حياتها الخاصة .

"أنا رجل يقال له أحمد الصويلح ... اسم يوحي بالخفة أو السخرية .. أما ماذا غير هذا . هي أسماء الدلع . لها دلالتها الفلكلورية أكثر من معانيها المعنوية . يشاع أنني ولدت في قرية اسمها الحكنة ، لا ادري في أي زمن وأي فصل وفي أي بيت هذا ليس مهم المهم الاستمرار بعد الولادة . يقولون اني ولدت عام ١٩٤٧ الشهر مجهول طبعاً .

طفولتي تاريخ ضائع – أو حلم مبعثر .. هكذا تأتي للحياة ، بالمصادفة أو نتيجة لشهوة الوالدين التي يمنيها الفراغ الواسع لا أتذكر طعم حليب أمي بل لم أدقه . لقد تكفلتني نساء كثيرات ، وقد يكون الحليب الذي رضعته ليس طاهراً – رغم أنني ضد هذا – لا ضير أننا محكومون بتقاليد

لا اعرف مصدرها ؟ يوم جئت للدنيا ماتت أمي التي لم يكن لها أقرباء يقال أنها ابنة احد الرعاة الذين ماتوا وهم حفاة وراء الماشية أه أبي فلم أر وجهه إطلاقا ، يعتقد أنه تزوج فلسطينية وبقي هناك عندما كان في الجيش عام ١٩٤٨ ويظن أنه قتل في حيفا .

امرأة عجوز قالت لي إنك بقيت بعد ولادتك يوما كاملا تصرخ من الجوع الى أن جاء العجر فانتشلوك ، لم ترضعك امرأة واحدة بل كل الغجريات ، ومن ذلك الحين أصبحت غجريا بالحليب لقد علموني العزف على الربابة .. أه كم أحب هؤلاء الذين يسمونهم العجر ... لكني اتوق لمعرفة أمي وأبي .. أتمنى لو عشت في كنفهم لا اذكر أنني كنت مكتسيا في طفولتي ، كان أجمل أيامي حيث يتعري الأطفال للسباحة في النهر حينها تذهب الفوارق .... (٥٠).

لقد تركنا الكاتب مع احمد الصويلح وهو يسرد لنا صفاته وحياته الخاصة وكيف اتهم بأنه غجري وقد عرفنا كل شيء عن احمد الصويلح فعرفناه ذلك الطفل المجهول اليتيم المشرد الذي عاش بين مصادفات الأيام . وكذلك عرفناه ذلك الشاب العازف على الربابة والتي تعلمها من العجر لأنهم تكفلوه وهو صغير ، ولهذا يقال عنه : إنه غجري ولكنه ليس غجريا بل تربي عند العجر لقد تحمل متاعب الحياة وهو صغير وحملها وهو كبير والآن هو في الحرب في أشرس المعارك جالس مع ضابطه ملازم مراد يسرد له حياته التي عاشها بكل ما تحمل من آلام . إنها رحلة احمد الصويلح التي تحمل كل معنى الغموض والمجهول فهذا الإنسان عاش ومات لان الرواية تنتهي بهذه الشخصية الحزينة ويدفن في الصحراء غريبا فقد عاش مشردا وحيدا ويموت ويدفن وحيدا .

### أنواع الشخصيات

#### هناك نوعان من الشخصيات في العمل الروائي :

١- "الشخصية المسطحة (الثابتة) : وهي الشخصيات التي تتصف بحالة من الثبات والجمود خلال سير الحدث الروائي ، ونقصد بالشخصية المسطحة ان تكون أحادية الجانب ذات سمة واحدة لا تتغير (٥١)" وهذه الشخصية يأتي بها الروائي جاهزة على الورق دون بذل أي جهد "وهي التي يمكن التعبير عنها بجملة واحدة (٥٢)" . أي أنها تظهر في الرواية بنحو سطحي لا تتفاعل مع الأحداث بل تبقى على حالها وتظهر كاسم عادي ليس له تطور في أحداث الرواية فالكاتب عندما يبدا بكتابة الرواية يجعل له شخصيات رئيسة تتفاعل مع الحدث وشخصيات أخرى ليس لها دور في الرواية، ولكن وجودها في النص يساعد في شد الصراع مع الشخصيات الأخرى ، فهي بمثابة حلقة وصل بين الأحداث والشخصيات من بداية الرواية وحتى النهاية ولهذا نجد ان القارئ يتعرف عليها من البداية ، دون ان يتتبعها في الحدث الروائي ، وظهورها في الرواية حسب حاجة البناء الروائي ، فقد تظهر مرة واحدة ولا تظهر بعدها ، ففي رواية شواطئ الدم : نجد الكثير من الشخصيات المسطحة والتي تظهر بدون تطور . فقط اسم في حالة وضعية او رقم يشير الى شيء ما . فمثلا :

"هيفاء - بتول - أيفون . ثابتة ليس لها دور في الرواية (٥٣)" .

"اسماعيل العبدالله - المتخلف عقليا (٥٤)" .

"مريم - التي تزوجت بالإكراه من ابن عمها الذي له زوجة (٥٥)" وخمسة اطفال .

"المدير محبوب - من ذاكرة البطل مدير الابتدائية في الطفولة (٥٦)" .

"عريف هاشم - أب لأربع بنات أكبرهن في الثالث الابتدائي" والصغيرة في حضن

امها (٥٧)" .

"عبد وإسماعيل وأبوه الشيخ الكبير / اشقاء ملازم مراد (٥٨)" .

"كاظم - الشهيد الطيار (٥٩)" .

٢- الشخصية النامية (المدورة) : نستطيع ان نحدد طبيعة تشكلها داخل النص الروائي من خلال تسميتها بالنامية "وهي الشخصية التي يتم تكوينها . بتمام القصة ، فتنطور من موقف الى اخر ، ويظهر لها في كل موقف تصرف جديد يكشف لنا عن جانب منها . والذوق الحديث يفضل النوع

الثاني من الشخصية (٦٠)" وهي التي لا تظهر للقارئ دفعة واحدة ، بل تتكشف شيئاً فشيئاً في النص الروائي وتتدرج بتدرج الرواية نفسها ، فكل تطور يحدث في الرواية ينعكس هذا على التطور في الشخصية ، وهي في صراع دائم مع شخصية أخرى أو مجموعة شخصيات ، مما يجعلها المحور الأساس للأحداث ، وهذا الصراع يوصلنا الى هدف منشود من قبل الروائي (٦١) ، وقد تطرق فورستر الى هذا النمط من الشخصيات وجعل عنصر الدهشة هو الحكم على نوع الشخصية من حيث هي مسطحة ام نامية بقوله : "والمحك للشخصية المستديرة هو : هل هي قادرة على اثاره الدهشة فينا بطريقة مقنعة ؟ فاذا لم تدهشنا ، تعتبر مسطحة ، واذا لم تقنع ، كانت شخصية مسطحة تحاول ان تبدو مستديرة (٦٢) ، وهذا النوع من الشخصيات يحتاج الى دقة في ملاحظة التحولات النفسية والذهنية بداخلها مما يتيح انتاج ارتباط تصاعدي بين الحدث والشخصية . المهم في الشخصية المدورة انها تنمو وتتضح ونرى هذا واضحا بمقارنتها ، كما تظهر في البداية وكما في النهاية .

أن (شواطئ الدم شواطئ الملح) ليست فيها حادثة معينة ولكن هي عبارة عن مجموعة من الوقائع التي ارتبطت بالشخصيات ذاتها . أي أنها لا تدور حول شخصية واحدة وحادثة واحدة بل هناك مواقف ومجموعة من الحوادث ظهرت في الحرب وفي المدينة وظفها الكاتب في سبيل انتاج عمل ادبي متواضع فربط كل موقف بشخصية وهكذا جمع الشخصيات والمواقف على شكل مترابط ومنسق . واستطاع الكاتب بث أفكاره وفلسفته من خلال هذا العمل الذي يكاد يكون عملاً مرئياً بالعين المجردة ؛ لان الكاتب صور الحرب بعنفوانها ونقل لنا صورة واضحة عن الحرب واستطاع أن يجذب عطف القارئ او دهشته ؛ لان هناك الكثير من الأشياء في المعركة تكون مجهولة فهو في هذه الرواية كشف الكثير من المجهولات .

ومن الأمثلة على الشخصية النامية في رواية شواطئ الدم شخصية احمد الصويلح – إيمان – مقدم هذال – فنجد مقدم هذال أمر الوحدة العسكرية التي كان فيها البطل في الرواية (ملازم مراد) فنلاحظ هذه الشخصية تتحرك بفعالية عالية مع بطل الرواية في ساحة المعركة .

"مقدم هذال اسم يوحى بالصراحة والحزم رجل ابيض البشرة اشقر الشوارب تبدو عليه بعض علائم التعب . فقد كان من اوائل الضباط الذين انيطت بهم قيادة المقاتلين في الحرب (٦٣)". اما في الحوار الاتي تتضح لنا شخصية مقدم هذال وكيف انه متفاعل مع بطل الرواية في مواقف مختلفة ، ويفيد في توضيح جانب من شخصية هذال .

وهناك مواقف أخرى مع مقدم هذال :

"يرن جرس التلفون .. التقط الحاكية .

- نعم .. مقدم هذال .. اهلا سيدي .

- هيئ نفسك وجماعتك للانسحاب .

- الانسحاب؟!!

- نعم نهاية الضياء الاخير سيبدلنا الفوج الثالث من لواء (٧٠٤) .

- امرك سيدي (٦٤)" .

ومن اكبر الشخصيات النامية في هذه الرواية "احمد الصويلح" – الذي يعد من اكبر الشخصيات المتفاعلة مع بطل الرواية ، فلا نجد موقفا في الرواية الا وقد ارتبط بهذه الشخصية النامية ، وقد قدمت شرحا وافيا عنه في البحث في الموضوعات السابقة ولا سيما في شرح الطريقة التمثيلية ص١٥-١٦ – الذي اخذ اكثر من فصل في هذه الرواية وهناك شئ مهم هو انه قد انتهت الرواية بهذه الشخصية الذي اصيب في الحرب في البصرة . ولكن احمد الصويلح عازف الربابة لم يتحمل هذه الحالة فانتحر . ففي نهاية الرواية يدخل ملازم مراد الى المستشفى فيقول :

- "أين صاحب الربابة ؟

- ماذا يعني لك ؟
  - صديق .. انه احد جنودي الشجعان .
  - يهملك أمره ؟
  - ارجوك لا تفاجئني .. قالوا انه يتمثل للشفاء .
  - هو كذلك .. قد شفى ولكن؟!!
  - لكن ماذا ؟
  - أسفه اذا أقول .. لقد انتحر (٦٥)" .
- ومن الشخصيات النامية في الرواية (إيمان) التي تسهم في الأحداث مع البطل في الرواية ملازم مراد . فالكاتب يصور لنا علاقة حب قائمة بين البطل وإيمان عن طريق (المونولوج) التذکر للأيام الماضية ، إذ كانت إيمان معلمة في القرية ، وفي تلك الفترة كان ملازم مراد طالبا في الجامعة ، فقد التقى بها في إحدى السفرات المدرسية في حقول القرية ، ودار بينهما حديث ونشأت بينهم علاقة حب ، وبعد فترة جاء ملازم مراد من الجامعة ، فلم يجد إيمان ، لأنها نقلت الى الموصل ، ومنذ تلك الفترة لم يعرف أخبارها وبعد مرور عدة سنين وهو في الملجأ تأتيه هدية من اتحاد النساء وهي عبارة عن علبة كارتونية للحلويات مكتوب عليها اتحاد نساء نينوى وفي اسفل العلبة توقيع رئيسة الاتحاد (إيمان) فتثور بداخله الذكريات بعد هذا الزمن الطويل . وكان لهذه الشخصية تفاعل مع أحداث الرواية ، وتختفي فجأة وبعد مرور عدة سنين تظهر على مستوى أحداث الرواية ، وهذا ما نجده في رواية شواطئ الدم كما في النص الاتي :
- " رأيت جمعا من الأطفال الصغار صبية وبنات ينطون في حقل القمح يتراکضون وراء الفراشات ، عرفت انها سفرة مدرسية نظمتها المعلمة الجديدة التي جاءت الى القرية دفعني فضولي للذهاب الى الأطفال اقتربت منهم ، فنادوني بصوت مسموع :
- مراد .. مراد .. تعال هنا .
  - لم أتردد بل كنت أتمناها في داخلي .. رغبت أن يناديني الصغار ، اقتربت منهم ، سلمت عليهم .. واصلت سيرتي نحو المعلمة .
  - مساء الخير .
  - مساء النور .
  - انك تقدمين خدمة كبيرة لهؤلاء "قلت وكانني اعرفها منذ زمن"
  - هذا جزء من واجبي . ثم اني ارفه عن نفسي .
  - القرية جميلة .. اليس كذلك ؟
  - بل وطيبة لحد هذه اللحظة .....
  - ستكون دائما .
  - اتمنى ذلك .. ستكون هذه الايام اجمل ذكرياتي رغم ما اعاني من غربة وصعوبة في توفير ما احتاج .
  - اسمحي لي بالذهاب ..... وداعاً .
  - وداعا .. ولكن ما هو عنوان الكتاب الذي بيدك ؟
  - اللزوميات .
  - ابهذا الجو تقرأ هذا الكتاب .. ثم ماذا نقول نحن ابناء المدينة ؟
  - إن عدوى التشاؤم انتقلت اليكم ابناء القرية .
  - صحيح ما تقولين .. لكني لا اقرأ لنزار .
  - لم تفهم قصدي .. فاننا لا احب شعر نزار رغم ما به من حلاوة وشاعرية كبيرة .
  - في هذه اللحظة وقفت ولم استطع أن أذهب عن من يناقشني إنها تقف على أرضية ثقافية اذا

- الا تعتقد ان الأصالة في التشاؤم .
- لا ..... إنك تغالط نفسك .. ان التشاؤم جاء نتيجة سوء تصرف القائمين على هذا العالم.
- مثل مصعوق .... وقفت امامها ، غسلتها بنظراتي ... ابجرت في عينيها ، قلت في نفسي الاصالة في عينيك .

منذ ذلك الوقت كانت (إيمان) ملتقاي في قريتي عند عودتي من الجامعة هي شيء جاء ولم يتكرر ... كانت ومضة مضيئة أبعثتني عن وجودية وعبث المعري ، التصقت بقريتي لأنها فيها (٦٦) " .

### المبحث الثالث :- المكان

يعد المكان عنصراً مهماً من عناصر الرواية ليس هناك عمل أدبي روائي بدون مكان وزمان . فالمكان يحدد أحداث الرواية وأين وقعت "ووعي الكائن بأهمية المكان ليس في الحقيقة الا شكلا من اشكال وعيه بذاته وهذا الوعي لا يمكن ان ينضج ويثمر الا عبر مجابهة الكائن لمحيطه الخاص ، وبالتالي لمكونات ذاته ، فمواجهة الذات هي المواجهه الحاسمة في حياة الكائن ، وبخاصة عندما يكون مبدعاً (٦٧) " .

ويهمنا الآن المكان في رواية الحرب ، فمن البديهي ان الحرب تدور في العراء ، ومن صفات المعركة إنها مضطربة وطارئة وتكون عادة مليئة بالجنود والأسلحة والاسطوانات الفارغة والعجلات العسكرية والديابات المقاتلة ، وتكون هذه الارض غير آمنة لما فيها من قصف معادي وقنص من قبل الطرفين ، ومن الطبيعي ان تدور المعركة في ارض مكونة من الملجأ والريبة والخندق ، وفي هذه الأمكنة تتحرك الشخصيات العسكرية والمقاتلة لتتقدم بدورها العسكري ومكان الحرب ليس ثابتا بل يتغير في أية لحظة حسب ظروف الحرب ، فالجندي المقاتل لا يبقى في مكان ثابت بطبيعة عمله العسكري . ومكان رواية شواطئ الدم شواطئ الملح تتعدد بين ارض المعركة والحياة المدنية الخاصة بحياة البطل (ملازم مراد) ، فعندما يدخل الملجأ يقوم بوصفه بدقه "جلست في ملجأ الراحة المخصص لي غرفة صغيرة ، بل زنانة عرضها متران وطولها ثلاثة أمتار وطن من التراب فوقها تنغرس في الارض حتى منتصفها الرطوبة الكثيفة تكسو أرضها بفعل البحيرة وأرض البصرة السبخة تغزوني أسراب من البعوض المتوحش والذباب الأهوج الذي لا يقطع الأنين (٦٨) " "شرق البصرة او غرب ايران لا فرق ، هذا هو موقعي من خارطة العالم المحترقة (٦٩) " .

لاحظنا ان الضابط ملازم مراد وصف لنا الملجأ حتى يوصل للقارئ صورة واضحة عن الحرب ، وقد حدد موقعه في أرض المعركة ، وهذا المكان بالنسبة اليه مألوف لانه يجلس فيه ويتعايش معه ويحاول ان يتأقلم ولو بشيء بسيط ؛ لان الحرب تفرض أشياء أحيانا تكون صعبة حيث " إن الروائي عندما يبدأ في بناء عالمه الخاص الذي سوف يضع في اطاره الشخصيات ثم يسقط عليه الزمن (حيث ان الزمن لا يوجد مستقلا عن المكان) يضع عالما مكونا من الكلمات (٧٠) " .

وقد وصف ضيق الملجأ وصغر حجمه وما يحتوي من حشرات من بعوض وذباب فيكشف عن إحدى حالات الحرب . فالحرب تبدأ من الملجأ من الخوف من الجثث . من رائحة البساطيل من داخل الملجأ . وقد يكون الملجأ تحت الارض . الحرب تجعل الانسان تحت التراب اما بحالة مؤقتة او حالة ابدية . فالملجأ قطعة من ارض الحرب أو المعركة . وكذلك يتطرق الكاتب الى وسائل الإنارة داخل الملجأ . فنجدها عبارة عن فانوس زيتي حيث ينظر اليه فيذكره باخوته وابيه الشيخ الكبير عندما كانوا صغارا "اطلقت نظري نحو مصدر الضوء : فانوس أزرق وعليه علامة الخفاش التي جرتني بعيدا كنا صغارا أنا وإخوتي الثلاثة نتجمع حوله مثل حشرات نقلاب أوراق كتبنا المدرسية ونبلل أوراق الرسم بزيتة لنطبع صور القراءة الجميلة (٧١) .

ينتقل الكاتب هنا من مكان الى مكان عن طريق التذكر للأيام الماضية ، فهو قد انتقل من الملجأ الى بيته الطيني القديم وهو صغير مع اخوانه ويعرض لنا كيف كانوا يرسمون وهم صغار . وكذلك نلاحظ ان الكاتب يصور المكان المعادي بالنسبة للعدو . فلا بد للقارئ ان يتعرف على موقع العدو لكي يستطيع تصور . حالة المعركة بين الطرفين "بيئة القصة هي حقيقتها الزمانية والمكانية لكل ما يتعلق بوسطها الطبيعي (٧٢)".  
فجده ينتقل من وصف الملجأ إلى وصف مكان العدو وحسب معطيات بصره حيث يقول :-

"التقطت الناظور صوبت نظري باتجاه العدو بدت الأشياء أكثر وضوحاً بعض المواضع المعادية للرشاشات وبنادق في البحيرة هناك خمسة دبابات معطوبة وشغل محطم انها بقايا معركة شرق البصرة الأولى لقد وقعت هنا قبل أن تكون هذه البحيرة موجودة اجلت نظري باتجاه شمال البحيرة ، توصلت نهايتها ، انها تبدا بالضيق كلما اتجهنا شمالاً حتى تلاشى عند أحد سرايانا التي تبعد عن العدو مسافة مائتي متر اطلقنا على هذه السرية قاعدة الأبطال (٧٣).  
نقل لنا معلومات كاملة عن حال العدو وما أصابهم من دمار عن طريق الناظور وهذا يدل على خطورة المعركة والدليل على ذلك ما خلفته في معدات العدو من دمار .

### وظائف وصف المكان :

**الوظيفة الزخرفية :** يقوم الكاتب بوصف المكان لذاته عن طريق وصف الطبيعة والمناظر التي يشاهدها او يكتب عنها . أي انه يصف فقط لا لكي يفسر ، فالوصف هنا لذاته لا لشيء آخر وهذا حسب نظرية (بوالو) اذ أنه يرى الوصف بكونه اللوحات والتمثيل التي تزين المباني الكلاسيكية (٧٤).

ولكن نقول : بان الوصف حسب رأي (بوالو) هو تزيين المباني فقط وليس له علاقة بالجوهر ، فان هذا رأي ضعيف ؛ لان الوصف اذا فصل عن أداته الحقيقية في الكشف عن أصل الموصوف فقد أهميته فلا أهمية له وحده دون جوهر الموصوف ونستطيع ربط هذه النظرية بنظرية الشكل والمضمون لما فيها من ترابط بين الاثنين فمنهم من اهتم بالشكل وترك المضمون (المعنى) ومنهم (من اهتم بالمضمون (المعنى) وترك الشكل) و "ان دقة الوصف واسلوبه من حيث تحديد ابعاد المكان ورائحته وتضاريسه وأشياءه هي التي تمكن الكاتب من نقل القارئ من مكانه الى أي مكان يريده (٧٥)".

والوظيفة الزخرفية نجدها في وصف المكان في رواية شواطئ الدم قُدم بدقة وهذا ما نجده في النص الآتي : "الندى أجراس لؤلؤ على العشب والمدى أزرق ومكحول يجثم غربا اسود داكناً لا شجر يغطيه ، اسميه الجبل الحزين قرية اسديرة مفروشة في جرف حقول القمح الواسعة ، اهيم في اجوائها ودروبها ، الزمن يضع بصماته على بيوت الطين خدشاً ، جرفان السيول يترك اخاديد على السقف وجدران البيوت تنغرس بين السقف والجدران ، اعشاش العصافير والفئران في داخل البيوت وعلى أعمدة السقوف المعوجة ، يعشعش الخفاش الذي يأتي موسمياً ، ابقار تجول الازقة بعثت ، ودجاج ينثر المزابل بفوضى" (٧٦)

أثناء وصف المكان تكون هناك علاقة بين المكان والشخصية ، فتلاحظ بداية الوصف تبدأ بحركة الشخصية نفسها ، فالشخصية تتحرك وتنظر وتقرر ما هو امامها من زخارف ومواقف . فدخل ملازم مراد الملجأ ينقل لنا خصوصيات ودقائق الملجأ ، وكذلك نجد أن الشخصية مرتبطة نفسياً في الملجأ أو المكان ، فلا يصف المكان حتى يكشف عن حالته النفسية "ولكن الظاهرة الملفتة للانتباه هي ان الوصف لمعالم المكان لم تأت منفصلة بصورة مقاطع ملصقة في سياق النص ، إنما جاء الوصف مقرونا بحركة الشخصيات ومثلونا بالحالة النفسية لها ، مما جعل المكان جزءاً ضمن نسيج النص ، فلا يتميز من خلال أوصاف جامدة ، تؤلف مقاطع منفردة ، إنما كان المكان موصوفاً

بجمل قصيرة تلمح إليه ، ولهذا كان صعباً جداً العثور على مقاطع يستعان بها لغرض تقديم وصف المكان ، إذ أن الخصائص العامة للمكان ، ودلالته ترشح من خلال النص ، وبالذات من خلال مجموعة المؤثرات التي تتسلط على الشخصية ، ولهذا اعتمدت مسارد مصائر الشخصيات وعلاقة الاستحضار للإشارة الى الدلالة الكامنة في بنية النص ، ومــــن ثم بنية رواية الحرب بصورة عامة (٧٧) .

فلا يمكن الكشف عن الشخصية الا اذا ارتبطت بالمكان وحتى المكان ... لا يكون ذا أهمية اذا ما شغل حيزه شيء فاذا كان المكان عبارة عن فراغ فماذا يعني للناظر . ليس سوى فراغ لا أكثر ، بينما لو وجد شيء ما في المكان فسوف يعطيه أهمية وابعاد يمكن الأخذ بها على وجه العموم . "فالمكان هنا اذن مجرد وعاء وهو وان بدأ ضيقاً ليس الا صورة للعالم ذاته (٧٨)" فيصور الحرب وهي تبدأ من الملجأ وتحسم في العراء ، لا فرق ان تقع قتيلاً في الملجأ أو في العراء ، فإذن هي الحرب لا يحدها مكان . لأن الرصاص والبارود لا يخضع للمنطق والحدود ، فالإطلاق يكون عشوائياً ، وبهذا نجد العلاقة الحميمة وعمقها بين الشخصية والمكان .

فالإنسان ما أن يدخل مكانا يعيش فيه حتى وان كان هذا المكان غير مرغوب فيه فلا بد له أن يتعايش معه ويكون عوضاً عن المكان القديم ، فتلاحظ ان الجندي في أول الأمر يكون مستغرباً لمكانه في الحرب ، بل حتى يراها أشياء غير معقولة من جثث ودمار وبارود وقتل وكذب ونفاق وتضليل للحقيقة ؛ لان الحقيقة هي أول الضحايا في الحرب ، وهكذا يقف المقاتل عاجزاً ضعيفاً أمام هذه الظروف ولكن نجده بعد فترة من الزمن قد نُعود على الوضع والمكان الجديد ، فلا يهتم امر الجثث لان الأمر أصبح مألوفاً جداً وحتى أصوات دوي الانفجارات أصبحت مألوفة لأنها شيء يومي مكرر ، وهكذا الحال لشخصيات وأحداث رواية شواطئ الدم شواطئ الملح "ادخل ملجئي ، بيتي ، مكان الجسد المترامي ، الحجرة السوحيدة التي تحتويني دون كلل ، دون كلام ، القي بالأحداث خلف ظهري .... أغلق وراءها باب الزمن ، باب المسير بلا توقف ، يتسع الملجأ لاكتظاظ الأنفاس والأقدام ، لقناني الماء الثمين الذي كان يساوي عسلاً أيام المعركة الأولى ... الذباب يطير ويحط في الجحور الصغيرة ... هناك دفتر صغير قربي أسجل به أسماء الشهداء والجرحي في السرية ، وأية مستجدات وتعليمات ، بيدي قلم عتيق رخيص الثمن هزيل الخط .... افترش أكياس فارغة لتقيني الرطوبة ، في حفرة صغيرة في الجدار قرب راسي توجد شمعة هي مصدر النور ليلا الى حين ... اقترب مني هاجس النوم والنعاس او الملل الذي فاق التحمل - الخدر يغزو أقدامي ... ويرميني بالسكوت .... هذا التماسك الغريب بين أشياء تافهة لكنها ضرورية (٧٩) " .

صور لنا إبراهيم حسن ناصر حالة الضابط وهو يدخل الملجأ ، وسرعان ما يتكيف الإنسان مع الموقع الجديد حيث نراه يقول ادخل ملجئي - بيتي وهذا يدل على ان الملجأ أصبح بمثابة بيته لأنه احتواه - فيبدأ بوصف المكان الذي هو فيه فنجدته يتعمق بوصف المكان حيث يذكر كل شيء ليضعه أمام ذهن القارئ . فالشخصية الحربية تشغل أماكن كثيرة منها ارض الحرام والرببية والخندق ولكن أهم مكان هو الملجأ .

والملجأ يكون عادة ضيقاً فيه أشياء بدائية من شمعة وفانوس للإضاءة فهنا يدخل هذا المقاتل الملجأ ليضع خلف ظهره العالم بمشاكله ليستريح قليلاً . يبدأ بتأمل المكان - ذباب - جحور - أوراق تحت الغبار - دفتر قديم - قلم عتيق رخيص لكثرة الاستعمال - ذكريات على جدران الملجأ فمن عادة الإنسان أن يترك أثره في كل مكان . فالجندي هنا يحاول ترك شيء يدل على وجوده ولو كان بسيطاً فيبدأ بكتابة الذكريات ليروي الظمأ الذي في نفسه فيكتب ويرحل أو ربما يقتل أو ربما يقع أسيراً . هكذا هي حياة الجندي في الملاجئ ينام ويستيقظ ولا يعرف مصيره لان الحرب هي القبول الصعب بالموت من اجل الحياة وهي التي تكشف عن معنى الرجولة وعن معنى البقاء والبقاء ففي لحظة اندلاع الحرب واحتدم المعارك يدرك المرء بان لكل شيء نهاية .



هكذا هي غريزة الدمار فالنفس البشرية تدفعه الى قتل أخيه الإنسان لأسباب تكاد تكون تافهة . ما معنى أن يموت الإنسان في مطاحن الحروب وينتهي بصمت ويلفظ آخر أنفاسه دون أن يحس به أحد حتى الذين يدافع عنهم فهم في غفلة منه ، ومن مصيره . أنها الحرب التي تلتهم الرجال لكي تبقى متقدمة فلا وقود لها غير جثث الرجال . "عندما تدفعنا أهواؤنا نحو قتل الفضيلة في مهدها .... تكون الحرب منارنا العالي في مملكة الإنسان . نحن ضد الكائنات الأخرى ، بل ضد أنفسنا . من مات ؟ ... فكر معي – من عاش ؟ تأمل . من عظم شأنه ؟ انظر انه الذي يملأ الأرض أنينا ، انه جلادها .... أحبائي لا شيء ينقذنا سوى الموت : والموت منا قريب . بل ابعد من اللانهاية (٨٠) " .

### الوظيفة التفسيرية :

لقد تطرقنا في الفقرة السابقة الى الوظيفة الزخرفية ووجدناها في الوصف لذاته دون ارتباط بشيء آخر . بينما نجد هنا أن التفسيرية تختلف تماما عن الزخرفية . فالتفسيرية تكشف عن الشخصية عن طريق وصف المكان ، وبهذا فهي تهتم بجوانب أخرى للوصف "ومن هذا المدخل فان للوصف في الرواية الواقعية وظيفة بالغة الأهمية والخطورة وصلت الى ذروتها على أيدي فنانيين بارعين مثل بلزاك وفلوبير فاكسين ، الوصف وظيفة جديدة يمكن تسميتها بالوظيفة التفسيرية ذلك أن مظاهر الحياة الخارجية من مدن ومنازل وانارة وادوات وملابس ، تذكر لأنها تكشف عن حياة الشخصية النفسية وتشير الى مزاجها وطبيعتها ، وأصبح الوصف عنصرا له دلالة خاصة واكتسب قيمة جمالية حقه . ويؤكد فلوبيير أن الوصف لا يأتي بلا مبرر ، بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية وله اثر مباشر او غير مباشر في تطور الحدث ، وهكذا تلتحم كل العناصر المكونة للنص الروائي وتكتمل الوحدة العضوية للعمل وتصبح الأجواء المختلفة مرآيا تعكس بعضها بعضا لتقديم الصورة المجسمة (٨١) " .

فيمكن الكشف عن طبيعة الشخصية عن طريق الشكل الخارجي ، فمثلا الملابس وطريقة تسريح الشعر تدل على نوع الشخصية ، ونظرية الكشف عن الشخصية عن طريق الشكل الخارجي وتفسير ارتباطها بحالة الشخصية نفسيا هي اكثر جدية من النظرية الاولى التي توصف لذاتها لا شيء اخر .

ففي رواية شواطئ الدم هناك الكثير من الصور المكانية التفسيرية التي تكشف عن وصف الشخصية بطريقة غير مباشرة . فنلاحظ ابراهيم حسن ناصر يذكر مواصفات كثيرة لأماكن تتضمن شخصيات دل عليها المكان الموصوف فمثلا يصف في احدى الفقرات بدوية تقتل ذنبا :

"أدخل مناحي يده في جيبه وأخرجها وقال

- خذ هذا .
- انه ناب حيوان .
- ناب ذئب شامي .
- كيف حصلت عليه ؟
- هجم الذئب على الغنم فقتلته زوجتي .
- زوجتك ؟
- نعم .

الصحراء – الخشونة – الشجاعة – الصبر ... امرأه تقتل الذئب الشرس انها تدافع عن بيتها ، عن مواشيتها ، ان أباه رجل كبير السن وابناؤه صغار ولهذا قامت زوجته بما يقوم به اشجع الرجال .

تأملت ناب الذئب ، قلت في نفسي كم من اللحم مزق هذا الناب ؟ كم من الارواح ازهق ...  
كأنه اللؤلؤ ناصع البياض أملس .  
- ما فائدته .

- انه يطرد الأرواح الخبيثة ويجعلك صلب القلب قوي في اشد المواقف خطورة  
- شكراً

وضعت في جيبي لا تيمنا به بل كذكرى وكجمالة لمناحي .  
ان زوجة مناخي جعلتني اغير نظري عن المرأة البدوية التي رسمتها في خيالي ، تصرفاتها  
عند عيادات الأطباء وتجولها في شارع نينوى ... تؤكد لي ان هؤلاء لسن بدويات بل مزارعات  
المدن اللواتي تحيط أكوأخهن بنينوى . قلت إن امرأة مثل زوجة مناخي لا تمرض ... لا يستطيع  
المرض ان يقترب منها (٨٢) .

عندما أراد الكاتب وصف زوجة مناخي ، لم يصفها مباشرة بل راح يصف الصحراء وما  
فيها من خشونة وصبر وشجاعة ، وهذا يفسر لنا شخصية زوجة مناخي ، لأنها تعيش في الصحراء  
ومن البديهي أن تتصف بهذه الصفات ، وخلاصة القول : إننا اكتشفنا شخصية زوجة مناخي من  
وصف المكان وهو (الصحراء) ، وهذه الوظيفة التفسيرية لوصف المكان ، أي إنها تدلنا على  
صفات الشخصية المراد وصفها فعن طريق الصحراء نكتشف تلك المرأة الجريئة التي قتلت ذئبا  
شاميا شرسا وقامت بعمل لا يقوم به إلا أشجع الرجال وكذلك تغيرت نظرة مراد لتلك المرأة من  
هذه الحادثة . وهنا استخدم الكاتب الصحراء كرمز لقوة تلك المرأة "أي أن تكون للوصف وظيفة  
رمزية دالة على معنى في اطار سياق الحكى (٨٣) " .

فاستخدام الرمز شيء يميل اليه الكاتب لانه يدفع بالقارئ الى التفسير والتحليل والاندماج مع  
الحدث ، فيجد القارئ في هذه الحالة المتعة الكافية لكي يستمر بالقراءة والكاتب عندما يصف لابد له  
من معلومات كاملة عن الشيء الموصوف "على المؤلف ان يعرف مناظره الريفية سواء كانت  
حقيقية ام خيالية ، تماما مثلما يعرف يده (٨٤) .

لذا نجد في رواية شواطئ الدم شواطئ الملح وصفا للقريبة دقيقا جدا يدل على معرفة الكاتب  
الواسعة بالمنطقة الريفية "سرت في أزقة طوقتها رائحة الرطوبة ومستعمرات الفطر الواسعة .  
شخصت أمامي غرفة طينية تأخذ شكل صومعة أو قلعة موغلة في القدم وقفت أمامها نبات الخباز  
يتسلق الجدار العالي كان موقعها من جهة الغروب ستندثر لا محالة لا احد فيها غير أنين بعوض  
وبركة ماء صدئة أنها صومعة امرأه عجوز هجرها أبناؤها بسبب الجنون . كنت أمر قريبا في  
طفولتي وأسمع كلامها غير المترابط" (٨٥) .

## الخاتمة

- بعد ان انتهينا من هذه الدراسة توصلنا الى عدّة نتائج من خلال دراسة العناصر الروائية في  
رواية ( شواطئ الدم شواطئ الملح ) لابراهيم حسن ناصر ومن اهم النتائج .
- ١- ان ضمير الانا يبرز بنحو واضح في الرواية وهذا سبب ان الكاتب يعتمد على ( السرد  
الذاتي)دون السرد الموضوعي .
  - ٢- للمكان خصوصية لديه اذ انه يرتبط ارتباطاً نفسياً وواقعياً بتصرفات الشخصية داخله  
وهذه الخصوصية تفرضها طبيعة الحرب ، ولاسيما ان المكان المهيمن في روايته هو  
(ساحة حرب ) ولذلك وجدنا جزءاً من الشخصية .
  - ٣- استخدام تقنية الحوار وهذا فتح باباً للشخصية لكي تعبر عن نفسها .
  - ٤- وصف الشخصيات داخلياً وخارجياً مما جعل شخصياته واضحة الملامح .

الهوامش

١. البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبدالله ابراهيم ، ص ٥ .
- (\*) مَثَل
٢. البناء الفني ، عبدالله ابراهيم ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .
٣. البناء الفني ، عبدالله ابراهيم ، ص ١٦١ .
٤. المصدر نفسه ، ص ١٦١ .
٥. المصدر نفسه ، ص ١٦١ .
٦. بنية النص السردي ، حميد الحمداني ، ص ٤٦ .
٧. مدخل لدراسة الرواية ، جبريمي هوثرون ، ص ٦٠ .
٨. ينظر : النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد ، ص ٨٦ .
٩. شواطئ الدم شواطئ الملح ، ابراهيم حسن ناصر ، ص ١٤٥ .
١٠. بنية النص السردي ، الحمداني ، ص ٤٦ .
١١. نظرية الادب ، رينية ويليك ، ص ٢٩٢ .
١٢. شواطئ الدم ، ص ١٠ .
١٣. مدخل الى نظرية القصة ، سمير المرزوقي ، ص ٨٥ .
١٤. النص الروائي [تقنيات ومناهج] بيرنار فاليلط : ترجمة : رشيد بنحدو ، ص ١١٢ .
١٥. الالسنية والنقد الادبي ، موريس ليو ناصر ، ص ٩٨ .
١٦. G : Genette ,Fuguresill .p.130 : نقلا عن : بنية النص السردي ، الحمداني ، ص ٧٦ .
١٧. شواطئ الدم ، ص ١٣٥ .
١٨. وظيفة الوصف في الرواية ، عبداللطيف محفوظ ، ص ٤٢ .
١٩. شواطئ الدم ، ص ٨٩-٩٠ .
٢٠. بنية النص الروائي ، ص ١٦٦ .
٢١. الالسنية والنقد الادبي ، ص ١٠٣ .
٢٢. P.Bently , " Some obsseration on the Art of Narrative" in the theory of the novel.p.53 . نقلا عن : بناء الرواية ، سيزا قاسم ، ص ٩٠ .
٢٣. شواطئ الدم ، ص ١١٢-١١٣ .
٢٤. في امراض القصة العراقية القصيرة ، انور الغساني ، مجلة الاقلام ، ع ٥ حزيران ١٩٧١ ، ص ٩١ .
٢٥. عالم الشخصية ، مصطفى عبدالسلام الهيتي ، ص ١٦٩ .
٢٦. شواطئ الدم ، ص ١٣ .
٢٧. بناء الرواية ، سيزا قاسم ، ص ١٤ .
٢٨. البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، ص ٨٧ .
٢٩. شواطئ الدم ، ص ٢٥ .
٣٠. بناء الرواية ، ص ١٥ .
٣١. الادب وفنونه ، عز الدين اسماعيل ، ص ١٧٨ .
٣٢. شواطئ الدم ، ص ٣١ .
٣٣. المصدر نفسه ، ص ٧٨ .
٣٤. فن كتابة الرواية ، ديان دوات فاير ، ص ١٣ .
٣٥. بنية النص السردي ، ص ٨٠ .
٣٦. شواطئ الدم ، ص ٨ .
٣٧. المصدر نفسه ، ص ١١ .
٣٨. فن القصة ، محمد يوسف نجم ، ص ٩٠-٩١ .
٣٩. تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، عبدالمحسن بدر ، ص ١٩٥ .
٤٠. شواطئ الدم ، ص ١٢٥ .
٤١. المصدر نفسه ، ص ٢٠-٢١ .
٤٢. الحرب في القصة العراقية ، عمر محمد الطالب ، ص ٨٦ .
٤٣. البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، ص ٨٨ .
٤٤. فن القصة ، ص ٢٠ .
٤٥. شواطئ الدم ، ص ١٨ .
٤٦. في النقد الادبي الحديث ، فائق مصطفى ، عبدالرضا علي ، ص ١٣٦ .

٤٧. عالم الرواية ، رولان بورنوف ، ص ١٧١ .
٤٨. شواطئ الدم ، ص ٢٦ .
٤٩. النقد الادبي ، محمد غنيمي هلال ، ص ١٣٩ .
٥٠. المصدر نفسه ، ص ٥٣-٥٤ .
٥١. النقد التطبيقي التحليلي ، ص ٦٧-٦٨ .
٥٢. مدخل لدراسة الرواية ، ص ٧٢ .
٥٣. شواطئ الدم ، ص ٣٣ .
٥٤. المصدر نفسه .
٥٥. المصدر نفسه .
٥٦. المصدر نفسه .
٥٧. المصدر نفسه .
٥٨. المصدر نفسه .
٥٩. المصدر نفسه .
٦٠. الادب وفنونه ، ص ١٩٣ .
٦١. ينظر : دراسات في القصة العربية الحديثة ، محمد زغول سلام ، ص ١٩ .
٦٢. اركان القصة ، فورستر ، ص ٩٥ .
٦٣. شواطئ الدم ، ص ٣١ .
٦٤. المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .
٦٥. المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .
٦٦. شواطئ الدم ، ص ٢٢-٢٣ .
٦٧. كتابة المكان بعيد عنه ، خليل النعيمي ، مجلة الاقلام ، ٢٤ ، ١٩٩٨ ، ص ٤٠ .
٦٨. شواطئ الدم ، ص ١٠ .
٦٩. المصدر نفسه ، ص ١٠ .
٧٠. بناء الرواية ، ص ١٠٤ .
٧١. شواطئ الدم ، ص ١١ .
٧٢. فن القصة ، ص ١٠٨ .
٧٣. شواطئ الدم ، ص ١٤ .
٧٤. بناء الرواية ، ص ١١٠ .
٧٥. دلالة المكان في مدن الملح ، محمد شوبكة ، مجلة ابحات اليرموك ، مج ٩ ، ٢٤ ، ١٩٩١ ، ص ٣٦ .
٧٦. شواطئ الدم ، ص ٣٦-٣٧ .
٧٧. البناء الروائي لرواية الحرب في العراق ، ص ١٥٦-١٥٧ .
٧٨. بناء الرواية ، ادون موير ، ص ٦٦ .
٧٩. شواطئ الدم ، ص ١٣٤ .
٨٠. شواطئ الدم ، ص ٧ .
٨١. بناء الرواية ، ص ١١٠-١١١ .
٨٢. شواطئ الدم ، ص ٢٧-٢٨ .
٨٣. بنية النص السردي ، ص ٨١ .
٨٤. فن كتابة الرواية ، ديان دوات فاير ، ص ٣٥ .
٨٥. شواطئ الدم ، ص ٣٧ .

### المصادر والمراجع

#### أولاً : الكتب

- ١- الأدب وفنونه - عز الدين اسماعيل - دار الفكر العربي - الطبعة السادسة ١٩٧٦ .
- ٢- اركان القصة - فورستر - ت : كمال عياد جاد - مراجعة : حسن محمود - دار الكرنك للنشر - القاهرة - ١٩٦٠ .
- ٣- الالسنية والنقد الادبي في النظرية والممارسة - موريس ابو ناصر - دار النهار للنشر - بيروت - ١٩٧٩ .

- ٤- بناء الرواية - سيزا قاسم - دار التنوير - بيروت - الطبعة ١٩٨٥ .
- ٥- بناء الرواية - ادون موير - ت - ابراهيم الصيرفي - المطبعة المصرية العامة - الدار المصرية .
- ٦- البناء الفني لرواية الحرب في العراق - عبدالله ابراهيم - دار الشؤون الثقافية - بغداد ط١ ١٩٨٨ .
- ٧- بنية الشكل الروائي - حسن بحراوي - المركز الثقافي العربي - بيروت - ط١ - ١٩٩٠ .
- ٨- بنية النص السردي - حميد لحداني - المركز الثقافي العربي بيروت - ب - ت .
- ٩- تطور الرواية العربية الحديثة في مصر - عبدالمحسن طه بدر - دار العارف - القاهرة - ١٩٦٣ .
- ١٠- الحرب في القصة العراقية - عمر محمد الطالب - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨٣ .
- ١١- دراسات في القصة العربية الحديثة ، اصولها ، اتجاهاتها ، اعلامها - محمد زغلول سلام - منشأة المعارف الاسكندرية - ١٩٨٧ .
- ١٢- شواطئ الدم شواطئ الملح - ابراهيم حسن ناصر - دار الشؤون الثقافية - بغداد ط١ ١٩٩٠ .
- ١٣- عالم الرواية - رولان بورنوف ، ريال اوئيلييه - ت : نهاد التكرلي ، محسن الموسوي - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ط١ - ١٩٩١ .
- ١٤- عالم الشخصية - مصطفى عبدالسلام الهيتي - نشر وتوزيع مكتبة الشرق الجديد - بغداد - ط١ - ١٩٨٥ .
- ١٥- فن القصة - محمد يوسف نجم - دار الثقافة - بيروت - ط٧ ١٩٧٩ .
- ١٦- فن كتابة الرواية - دوان دوات فاير - ت - عبدالستار جواد - دار الشؤون الثقافية بغداد ط١ ١٩٨٨ .
- ١٧- في النقد الادبي الحديث - فائق مصطفى احمد - عبد الرضا علي - دار الكتب للطباعة - ط١ ١٩٨٩ .
- ١٨- مدخل لنظرية القصة - سمير المرزوقي ، جميل شاكر - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد .
- ١٩- مدخل لدراسة الرواية - جيريمي هورثورن - دار الشؤون الثقافية العامة (د.ت) .
- ٢٠- مقالات - علي جواد طاهر - مطبعة اتحاد الادباء العراقيين (د.ت) .
- ٢١- مقدمة في النقد الادبي - علي جواد طاهر - ساعدت جامعة بغداد على نشره - بيروت .
- ٢٢- الناقد وقصة الحرب - جاسم عبد الحميد حمودي - دار الشؤون الثقافية العامة - ط١ - بغداد - ١٩٨٠ .
- ٢٣- النص الروائي (تقنيات ومناهج) - بيريار فاليط - ت : رشيد بنحدو - طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية - ١٩٩٩ .
- ٢٤- نظرية الادب - رينيه ويليك واوستن وارين - ت محيي الدين صبحي - مراجعه : حسام الخطيب - المجلس الاعلى لرعاية الفنون والادب والعلوم الاجتماعية - مطبعة خالد الطرايبشي - ١٩٧٢ .
- ٢٥- النقد الادبي الحديث - محمد غنيمي هلال - دار العودة ، دار الثقافة - بيروت - لبنان - ١٩٧٣ .
- ٢٦- النقد التطبيقي التحليلي - عدنان خالد عبدالله - دار الشؤون الثقافية العامة - ط١ - بغداد - ١٩٨٦ .

### ثانياً : الدوريات :

- ١- دلالة المكان في مدن الملح - عبدالرحمن منيف ، محمد شوابكة - مجلة ابحات اليرموك - مج٩ - ٢٤ - ١٩٩١ .
- ٢- في امراض القصة العراقية القصيرة - أنور الغساني - مجلة الاقلام - ع٥ - ١٩٩٧ .
- ٣- كتابة المكان بعيد عنه - خليل النعيمي - مجلة الاقلام - ع٢ - ١٩٩٨ .

**Beaches of Blood and  
Salt by Ibraheem Hassan Nassir  
( An analytic study )**

**Ayad Jawhar Abdallah**  
**Instructor**  
**College of Education**  
**Kirkuk University**

**Nawfal Hamad Khider**  
**Instructor**  
**College of Education**  
**Kirkuk University**

**Abstract**

This paper is based on the study of one of the war novels in modern Iraqi literature which is " The shores of Blood and salt " by Ibrahim Hasan Nasser . It includes an analysis and criticism of the novel . It starts with the introduction as a prelude to the topic where we have three section .

The first section includes narration and its types : self-narration and objective narration as well as its sub types : summary , pausing , scene and abstract. The means of narration : the dialogue and description are also included .The second section deals with characters : the protagonist and primary ad secondary characters and how to design the character .

Finally , the third section includes the place in which the events take place as well as the functions of setting and its types .It is divided into habitual and repeated , this way , we moved in these elements to understand them .

